الإمبراطور نقفور فوقاس وحروبه ضد الدولة الفاطمية في بلاد الشام

المدرس الدكتور
غسان حاكم حسن
الجامعة الإسلامية ـ النجف الأشرف
lunajaf.edu.iq@Kassan.hakem.chamki

Emperor Nicephorus Phocas and his wars against the Fatimid state in the Al-shamm country

Lecturer Dr.
Ghassan Hakim Hasan
Islamic university-Najaf Al-Shraf

الملخص:

ومن المؤكد ان المسلمين خاضوا معارك طاحنة مع هذه الإمبراطورية، وكان المقاتلة في ثغور الدولة الإسلامية وفي العواصم يعتبرون هذا القتال من أقدس الأعمال وأشرفها، نظرا لما يحتل الجهاد من مكانة رفيعة من وجهة نظر الدين الإسلامي. لكن الضعف والاضطراب الذي حلّ بالدولة العباسية، جعل الصراع بين المسلمين والبيزنطيين ينحسر بشكل واضح وجلي.

على ان بلاد الشام تختلف عن باقي الأمصارالإسلامية، فقد عصفت فيها الحروب والأزمات السياسية، فضلا عن ما خلّفهُ الاجتياح القرمطي لها من نتائج مدمّرة، أقلها التدهور الاقتصادي الكبير.

ولم يكن للإمبراطور البيزنطي نقفور فوقاس هدفٌ أسمى من الاستيلاء على بيت المقدس، والأماكن المقدسة في فلسطين. لذا نلاحظ ان بعض المؤرخين المعاصرين يرى ان هذه المرحلة من مراحل الإمبراطورية البيزنطية ما هي إلاّ أولى مُقدمات العدوان الصليبي على بلاد المسلمين. كما ان إسقاط الدولة الحمدانية كانت من أولويات هذا الإمبراطور الشرس والذي لا يعرف الرحمة.

ومع محاولتنا تغطية هذا الموضوع المهم، فان علينا التنويه ان الأمر لا يخلو من صعوبات نتيجة لقلة المصادر، واختلاف الروايات وغموضها.

الكلمات المفتاحية: الإمبراطور نقفور فوقاس، الدولة الفاطمية، بلاد الشام، الدولة العباسية، البيزنطيين.

Abstract:-

Certainly, the Muslims fought fierce battles with this empire, and the fighters in the Al- awasem of the Islamic state and in the capitals considered this fighting one of the most sacred and honorable deeds, given the high position of jihad from the point of view of the Islamic religion. But the weakness and turmoil that befell the Abbasid state, made the conflict between Muslims and Byzantines recede clearly and clearly.

However, this Levant differs from the rest of the states of the countries of Islam, as wars and political crises raged there, in addition to the devastating consequences of the Qarmatian invasion, the least of which was the great economic decline.

The Byzantine Emperor Nicephorus Phocas had no higher aim than the capture of Jerusalem and the holy places in Palestine. Therefore, we note that some contemporary historians see that this stage of the Byzantine Empire is only the first prelude to the Crusader aggression against Muslim countries. The overthrow of the Hamdanid state was one of the priorities of this fierce and ruthless emperor.

While we are trying to cover this important topic, we should note that the matter is not without difficulties due to the lack of sources, the difference in narrations and their ambiguity.

key words: Nicephorus Phocas Emperor, Fatimid state, Al-Sham country, Abbasid stste, Byzantines.

المقدمة:

كانت الأراضي المتاخمة للإمبراطورية البيزنطية يُطلق عليها (العواصم)[١]. وأول من أطلق عليها هذه التسمية هو الخليفة العباسي هرون الرشيد(١٧٠-١٩٣)هـ/ ٧٨٦-٩٠٩)م، إذ ان الثغور أجمع كانت تتبع الجزيرة وقنسرين، فأفردها هذا الخليفة وسماها بالعواصم[٢]، وبذلك أصبحت جند من أجناد الشام. وتشتمل هذه العواصم على مدن منبج ودُلوك[٣] وقورُس[٤] وأنطاكية والمَصِّيصة[٥] وطرسوس، وبعضهم يُدخل قنسرين فيها[٦]. اما الثغور فهي ما وراء العواصم، أي إلى الشمال منها، وهي سلسلة من الحصون الهدف منها حماية حدود الدولة العربية الإسلامية، إذ ان كل موضع قرب العدو يسمى ثغراً [٧]. اما الثغور الشامية، وهي التي تخص دراستنا، فتشمل بلداناً كثيرة منها: عين زربة[٨] وطر سوس والمصيصة وأذنة[٩] ومَلَطْية [١٠] والحدث [١١] ومرعش[١٢] وغيرها.[١٣] ولم تكن هذه الثغور والعواصم أصلا، سوى حصون قديمة، قام المسلمون بتجديدها عند فتحهم هذه المناطق، ثم جعلها الخليفة هرون الرشيد جنداً من أجناد الشام. [١٤].

لقد أصبحت هذه الثغور والعواصم مواطن للمسلمين المجاهدين ضد البيزنطيين الذين غالباً ما يطلق عليهم المؤرخون المسلمون بالروم. ونتيجة للمعارك العنيفة التي كانت تشهدها هذه المناطق، قامت الدولة بإخلائها من السكان، فأصبحت موطناً يختص بالمقاتلين الذين تبعث بهم الدولة الإسلامية إلى هناك بشكلٍ دوري ومن مختلف الأجناس والشرائع من عرب وفرس وترك وغيرهم. [١٥]

وعلى الرغم من محاولات الإصلاح التي قام بها الإمبراطور دقلديانوس Diocletian (٢٨٢-٣٠٥)م[١٦] من أجل منعها من الانهيار، غير ان الاضطراب الاقتصادي والسياسي قد جعل منها لقمة سائغة بيد البرابرة، فقام الجرمان[١٧] بتحطيمها نهائيا سنة ٤٧٦م. على ان تقسيم دقلديانوس لهذه الإمبراطورية إلى إدارتين: شرقية ومركزها آسيا الصغرى (البيزنطية)، وغربية ومركزها روما، قد جعل الاهتمام يتحول إلى القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية، إذ حافظ هذا القسم على قوته وعنفوانه مقابل تداعي القسم الغربي من هذه الإمبراطورية وسقوط عاصمته

روما.[١٨] ومنذ سنة ٣٣٠م أصبحت القسطنطينية عاصمة لهذه الإمبراطورية المترامية الأطراف، ولم تسقط هذه العاصمة الا على يد الأتراك العثمانيين سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م.

ومن المؤكد ان المسلمين خاضوا معارك طاحنة ضد هذه الإمبراطورية، وكان المقاتلة في ثغور الدولة الإسلامية وفي العواصم يعتبرون هذا القتال من أقدس الأعمال وأشرفها، نظرا لما يحتل الجهاد من مكانة رفيعة من وجهة نظر الدين الإسلامي. لكن الضعف والاضطراب الذي حلَّ بالدولة العباسية، جعل الصراع بين المسلمين والبيزنطيين ينحسر بشكل واضح وجلي.

أما بلاد الشام فكانت تحت الحكم الإخشيدي قرابة خمسة وثلاثين سنة (٣٢٤-٣٥٩)هـ/(٩٣٥-٩٦٩)م، وقد دخل هؤلاء الإخشيديون في صراعٍ دموي مرير مع الحمدانيين، منذ نجاح الأخيرين بقيادة سيف الدولة الحمداني بتأسيس إمارة لهم شمال الشام عاصمتها حلب سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م، وشملت مدن حمص وأنطاكية وحماة وشيزر ومنبج وقنسرين وبعض المدن الصغيرة الأخرى[١٩].

على ان هذه البلاد تختلف عن باقي الأمصار الإسلامية، فقد عصفت فيها الحروب والأزمات السياسية، فضلا عن ما خلّفهُ الاجتياح القرمطي لها من نتائج مدمّرة، أقلها التدهور الاقتصادي الكبير.

ويبدو ان ظهور سيف الدولة الحمداني، الذي إمتلك من صفات الفروسية والفتوة الشيء الكثير، فضلاً عن حماس لا متناه لقتال العدو البيزنطي، جعل هذا الجهاد يرتكز بشكل رئيس في بلاد الشام. إذ قام هذا الأمير بهذه المهمة الشاقة والعسيرة، حال دخوله لمدينة حلب. ومن ذلك الحين شنَّ سيف الدولة حروباً وغزوات طاحنة ضد البيزنطيين، حتى بلغت هذه الغزوات الأربعين [٢٠] غزوة، إذ خلد هذه الملاحم أعظم شعراء بلاطه أبو الطيب المتنبي.

وكان على سيف الدولة، كي يستطيع صد الهجمات البيزنطية الشرسة، أن يُجهّز جيشاً كبيراً مُدجّجاً بالعدة والسلاح، وما يتطلب ذلك من توفير للرجال والأموال من أجل ديمومة هذه الحروب، وبذلك ((كفى المسلمين أمر الروم، واعتنق حربهم، فاقتنع منه بذلك)).[٢١] وكان العنصر الأساسي لجيوش الدولة الحمدانية، هي القبائل العربية من بني

عقيل وكلاب[٢٢]، فضلاً عن خمسمائة غلام تركي يشتهرون بالبأس والشدة[٢٣]، تبوّأ بعضهم مراكز القيادة مثل نجا وقرعويه ولؤلؤ[٢٤].

لكن ((الحياة الشاقة التي عاشها سيف الدولة وغزواته الأربعين في بلاد الروم أدت إلى تدهور صحته وهو في السابعة والأربعين من عمره))[٢٥] وأخيراً وفاته في صفر سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧م. وقد شهدت هذه الفترة ظهور ثلاثة من أعظم أباطرة بيزنطة: نقفور فوقاس(Nicephorus Phocas) (٩٦٣-٩٦٩)م/(٣٥٢-٣٥٩)هـ، وحنا زمسكيس John Temisces (المعروف لدى المسلمين باسم ابن الشمشقيق)(٩٦٩-٩٧٦)م/(٣٥٩-٣٦٦)هـ ، وباسيل الثاني Basill II (٩٧٦-١٠٢٥)م/(٣٦٦-٤١٦)هـ.[٢٦] اذ تمكن هؤلاء الأباطرة من الاستيلاء على أراضٍ واسعة امتدت من بلاد الشام إلى نهر الدانوب ومن أرمينية إلى جنوب ايطاليا[٢٧].

وكما أسلفنا القول، فان هذه الحقبة من حكم هؤلاء الأباطرة الثلاثة تزامنت مع حالة ضعف وتفكك الجبهة الإسلامية بعد تدهور الخلافة العباسية وظهور دويلات المشرق الصغيرة والضعيفة، فقد فيها الخليفة العباسي بعض سلطاته السياسية، مُحتفظاً بسلطته المعنوية التي لم تُغنيه في شيء سوى ذكر إسمه في الخطبة. كما ان نقص الأموال بسبب استقلال ولايات هذه الخلافة نتج عنه صعوبة مواصلة الجهاد على هذه الثغور بسبب ما يلزم هذا القتال من نفقات باهضة تُصرف على المقاتلة، فضلاً عن مستلزمات الحرب من أسلحة ومؤن.

وقبل ان يصبح إمبراطوراً، قادَ نقفور فوقاس(يسميه المسلمون نقفور بن فقاس) حملة كبرى على مدينة حلب مقر حكم عدوه سيف الدولة الحمداني سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م، مُستغلاً إصابة سيف الدولة بمرض الفالج، فقصدها على حين غرّة في حشدٍ كبير من الروم والأرمن، فحلّت الهزيمة بسيف الدولة وهو يدافع عن المدينة، فهرب إلى مدينة بالس، فتمكن نقفور من الاستيلاء عليها، فدمَّر المدينة، وقام بنهب أموال سيف الدولة وخيوله وبغاله وسلاحه، مما جعل أهل المدينة يلجأون لقلعتها، لكنهُ إنسحب عنها بشكل مفاجئ.[٢٨] ويبدو ان من أسباب هذا الانسحاب، وصول أخبار سيئة إليه من القسطنطينية، عن وجود مؤامرة تحاك ضدّه، فضلاً عن عدم تهيأ الجيش البيزنطي للحروب

الطويلة الأمد، بسبب بُعد بلاد الشام عن خطوط إمداداته[٢٩].

وعلى الرغم من عودة سيف الدولة إلى مدينة حلب بعد انسحاب الروم منها، الا أن المرض أقعدهُ عن ممارسة الجهاد ضد البيزنطيين، لذلك استغل هؤلاء خلو ساحة المسلمين من قائد يقوم بهذه المهمة الخطيرة والصعبة. بالمقابل فان تولي نقفور حكم الإمبراطورية سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م .كان يُمثل كارثة بالنسبة إلى بلاد الشام، نظراً لما يتصف بهِ هذا الإمبراطور من تعصب ديني شديد، وصفات عسكرية نادرة جعلت منه جندياً باسلاً ليس له من تطلعات سوى الحرب وشدّة التدَيُّن[٣٠].

ولم يكن لنقفور فوقاس هدفٌ أسمى من الاستيلاء على بيت المقدس، والأماكن المقدسة في فلسطين. لذا نلاحظ ان بعض المؤرخين المعاصرين يرى ان هذه المرحلة من مراحل الإمبراطورية البيزنطية ما هي إلاّ أولى مُقدمات العدوان الصليبي على بلاد المسلمين[٣١] كما ان إسقاط الدولة الحمدانية كانت من أولويات هذا الإمبراطور الشرس والذي لا يعرف الرحمة[٣٢].

كانت وفاة سيف الدولة سنة ٣٥٦هـ/٩٦٦م إيذاناً بانحسار الجهاد ضد البيزنطيين، فضلاً عن ما أصاب الإمارة الحمدانية من بعده من هزالٍ، نتيجة لضعف خلفائه من الأمراء، مما مكّن الغلمان الحمدانية من السيطرة عليها. اذ تولى ابنه (أبو المعالي شريف) الإمارة من بعده، وكان ضعيفا وصغيرا، فتحكم غلمان أبيه به، فكان ذلك فرصة ذهبية للبيزنطيين للعبث ببلاد الشام، وإحداث مجازر رهيبة فيها.

ويبدو ان حروب نقفور مع البلغار كانت الشاغل الأهم من مهاجمة شمال الشام، فكانت السنة الأولى من حكم ابي المعالي شريف بن سيف الدولة فترة هدوء بالنسبة لهذه المنطقة، لكن سرعان ما أجهز نقفور عليها سنة ٣٥٧هـ/٩٨٦م، في حملة واسعة، أحرق فيها مدينة حمص بعد ان سبى وقتل كثيرا من أهلها، وفعل الشيء نفسه في مدن ساحل الشام، فلم تنج منه سوى مدينة طرابلس المحصنة، فقام بإحراق ربضها. [٣٣] وخافَ أبو المعالي شريف أن يقصد مدينة حلب، فاستخلف قرعويه [٣٥]عليها، ورحلَ إلى مدينة بالس. [٣٤]وكان هذا العدوان قد تزامن مع هجوم القرامطة على هذه البلاد، وإيقاعهم

الهزيمة بالحسن بن عبيد الله بن طغج الذي كان اميراً على بلاد الشام، من غير ان يتمكنوا من الإستيلاء عليها[٣٥].

على ان أعظم انجاز عسكري تحقق في عهد نقفور، هو استيلاء قائده ميخائيل البرجي على مدينة أنطاكية في ذي الحجة سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م، اذ بعد حصار طويل للمدينة، قام باحراقها، وقتل المئات من أهلها[٣٦]، وحَمَلَ منها المئات من الفتيان والفتيات إلى بلاد الروم، وأسكنَ محلهم نصارى من الروم[٣٧]. كما تمكن من الاستيلاء على مدن معرة النعمان وعرقة واللاذقية ومعرة مصرين[٣٨].

تزامنت هذه الاحداث مع حدوث هزّة سياسية عنيفة في بلاد الشام. فمع ظهور الفاطميين على الساحة السياسية لبلاد المشرق باستيلاء جوهر الصقلي على بلاد مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م، لم يلبث هذا القائد الفاطمي ان قام بضم جنوب بلاد الشام إلى نفوذ الفاطميين على يد معاونه جعفر بن فلاح الكتامي في محرم سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م، لكنه لم يفلح بمد نفوذه إلى شمال بلاد الشام الذي تمثل مدينة حلب حاضرة له. وكان هؤلاء الفاطميين يجعلون من الجهاد ضد البيزنطيين من أولويات سياستهم، بل نرى من خلال الأمان الذي أعطاه جوهر للمصريين، إذ ذكر لهم بان الخليفة المعز لدين الله لم يُرسله إلى مصر إلاّ لجهاد الروم والقضاء على القرامطة الذين منعوا الناس من الحج إلى بيت الله الحرام بسبب غاراتهم المتواصلة على هؤلاء الحجيج[٣٩].

ويرى المستشرق هاملتون جب[٤٠] أن الانتصارات التي حققها نقفور وتوّجت بالاستيلاء على مدينة أنطاكية جاءت في الوقت المناسب تماماً بالنسبة للفاطميين، ((إذ جاءت في أعقاب خروجهم من إنتصارهم على الروم في صقلية وبينما كانوا في تلك اللحظة يعدّون العدة للإنقضاض على مصر، فهي لم تؤد إلى إضعاف الحمدانيين في حلب فحسب، بل زوَّدت الدعاية الفاطمية بالموضوع الذي بدا ان ما يبررهُ في بداهة متناهية ومؤدّاه ان الفاطميين يشكلون القوة المسلمة الوحيدة القادرة على إيقاف تقدم الروم ودحرهم)).

ويبدو ان استيلاء الفاطميين على جنوب ووسط بلاد الشام ، لم يُرض كامل طموحاتهم، إذ ان هدفهم الأساسي بالقضاء على الدولة العباسية لن يتحقق دون

الاستيلاء على شمال هذه البلاد من يد أعدائهم التقليديين بني حمدان. ولم يكن الحمدانيون في وضع يسمح لهم بمقارعة جحافل الفاطميين الجرّارة بسبب الضعف والوهن الذي أصاب أوصال دولتهم بوفاة سيف الدولة الحمداني وصعود ابنه الضعيف ابي المعالي شريف إلى سدة الحكم. إذ وقع سيف الدولة بنفس الأخطاء القاتلة التي وقع فيها خلفاء بني العباس من إشراك الغلمان الأتراك في الحكم وقيادة الجيوش، لكنهُ بقوة شخصيته وحضوره القوي، فضلا عن انشغاله مع قادة جيشه بقتال البيزنطيين؛ أجَّلَ قليلاً من سيطرة هؤلاء الغلمان على مقاليد السلطة. لكن هذه الظروف تغيّرت بعد تولي خليفتهِ أبي المعالي شريف لمقاليد الحكم، اذ لم يمتلك الأخير المزايا السياسية والعسكرية التي كان أبوه يتميز بها، فكان ضعفه وصغر سنّهِ هيأ لغلمان أبيه الفرصة للاستحواذ على الحكم في مدينة حلب، وإقصاء ابي المعالي شريف منها، وهذا ما فعلهُ قرعويه مما أسلفنا القول فيه. فبعد استيلاء قرعويه على[٤١]مدينة حلب بمساعدة غلامه بكجور، منع الاثنين سيدهما سعد الدولة من دخول المدينة من بعد عودته من بالس التي لجأ إليها خوفاً من غارة نقفور، مما جعله يضطر إلى اللجوء إلى والدته في مدينة ميافارقين. لكن ذلك لم يُثنه عن مواصلة الكفاح من أجل استرداد مُلكه، إذ قام بتشكيل جيش مؤلف من القبائل العربية، تمكن به من محاصرة مدينة حلب، لكن قرعويه سرعان ما استعان بالبيزنطيين من أجل التخلص من حصار أبي المعالي، فأرسلوا له جيشاً بقيادة (الطربازي)[٤٢]، فاضطر أبو المعالي على الانسحاب إلى معرة النعمان[٤٣].

ويظهر ان البيزنطيين لم يقدموا الى حلب من اجل تقديم المساعدة لقرعويه فحسب، إذ كانت لديهم أطماع في هذه المدينة بالنظر لكونها تمثل حائط الصد بينهم وبين الفاطميين. إذ حال انسحاب أبي المعالي من المدينة، قام الطربازي بحصارها، وتمكن بالتالي من الاستيلاء عليها، فاضطر أهلها ومعهم قرعويه من اللجوء إلى قلعتها للإحتماء من العدو، وبعد مفاوضات طويلة جرت بين الفريقين، انتهت بعقد معاهدة من أسوء المعاهدات في هذا المجال، ونظرا لأهمية هذه المعاهدة، وما لها من آثار مدمرة على بلاد الشام، فيما يأتي ملخّص لما جاء فيها:[٤٤]

١- فرض الروم جزية على جميع المسلمين بمعدل دينار عن كل صغير وكبير من مدن

حمص وجوسيه وسلمية وحماة وشيزر وكفر طاب وأفامية ومعرة النعمان وغيرها.

٢- يحمل قرعويه للبيزنطيين في كل سنة سبعمائة ألف درهم.

٣- اشترط البيزنطيون أن يكون قرعويه هو الأمير ومن بعده بكجور، وبعدهما يقوم الروم بتنصيب أمير يختاره أهل حلب، وليس للمسلمين أن ينصبوا أحداً.

٤- لا يؤخذ من نصراني جزية في هذه المدن إلاّ إذا كان له بها مسكن أو ضيعة.

٥- على قرعويه أن يصد أي جيش إسلامي يريد غزو البيزنطيين، كما ان على بكجور ان يستقبل جيوشهم الغازية لبلاد المسلمين، ويقوم بتشييعها حين رحيلها، ويسهّل لها الحصول على القوات.

٦- على قرعويه أن يساعد البيزنطيين على غزوهم لبلاد المسلمين.

٧- ليس للمسلمين أن يعترضوا على مسلم يريد الدخول إلى النصرانية والعكس بالعكس.

٨- إذا هرب عبدٌ مسلم أو نصراني فعلى المسلمين تسليمه أو إعطاء صاحبه ثمنه.

٩- على المسلمين أن يقوموا بتسليم المجرمين الهاربين من بلاد الروم إلى القائد البيزنطي.

١٠- للروم الحق في اعتقال أي جاسوس مسلم يدخل حدود بلادهم.

١١- ليس للمسلمين الحق في هدم الحصون أو بناء حصون جديدة، ويحق للروم إعمار الكنائس المخربة، وعلى المسلمين تكريم البطاركة والأساقفة الذين يفدون عليها.

١٢- يقدر الروم العُشر الذي يؤخذ عن تجارتهم بخاصة الذهب والفضة والديباج الرومي والأحجار الكريمة، وعلى قرعويه وبكجور أن يقوما بالمحافظة على القوافل التجارية البيزنطية وتقديم الأدلاّء لإرشادها على الطريق.

ويبدو لنا من دراسة هذه المعاهدة، إنها الاسوء من نوعها في تاريخ العلاقات بين المسلمين والبيزنطي، إذ تدلنا بكل وضوح إلى إنها حوّلت شمال الشام إلى محميَّة بيزنطية لا

غير، كما تدلنا على حرص البيزنطيين من القضاء على الحكم الحمداني، ففرضت على قرعويه مقاومة أي عودة لهم لحكم حلب، فضلا عن فرضها عدم قبول المسلمين في حلب لأي أمير عليهم من بلاد الإسلام والاقتصار على تنصيب واحد منهم ممن تثق به بيزنطة. وبالرغم من أن العلاقات السياسية بين هذين الفريقين شهد كثيراً من الاتفاقيات والمعاهدات، لكن هذه العلاقات لم تصل إلى هذه الحالة من التدني والخضوع الذليل، التي تشير الى رجحان كفة القوة البيزنطية، فضلاً عن التأثيرات المدمرة التي أفرزها الصراع المرير على السلطة. وعلى أية حال، سيكون لهذه المعاهدة دور خطير في رسم ملامح المستقبل السياسي لهذا القسم من بلاد الشام، ولا سيما فيما يخص المستقبل السياسي للفاطميين، اذ قامت بوضع العصا في دواليب الطموحات الفاطمية بالاستحواذ على شمال الشام، وبالتالي الإجهاز على الخلافة العباسية والقضاء عليها.

ويظهر ان نقفور فوكاس لم يهنأ بنشوة انتصاراته في بلاد الشام، إذ تم اغتياله سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م بمؤامرة دبرتها زوجته ثيوفانوا مع قريبهِ حنا زمسكيس(الذي يعرف عند المسلمين بيانيس بن الشمشقيق)، أدت إلى تتويج الأخير إمبراطوراً لبيزنطة(٤٥).

الخاتمة:

توصلنا في هذا البحث الى النقاط التالية:

١- ان الفاطميين كانوا قد جعلوا من الجهاد ضد البيزنطيين من أولويات سياستهم، بل نرى من خلال الأمان الذي أعطاه جوهر للمصريين، إذ ذكر لهم بان الخليفة المعز لدين الله لم يُرسله إلى مصر إلاّ لجهاد الروم والقضاء على القرامطة الذين منعوا الناس من الحج إلى بيت الله الحرام.

٢- لم يكن الحمدانيون في وضع يسمح لهم بمقارعة جحافل الفاطميين الجرّارة بسبب الضعف والوهن الذي أصاب أوصال دولتهم بوفاة سيف الدولة الحمداني وصعود ابنه الضعيف ابي المعالي شريف إلى سدة الحكم. إذ وقع سيف الدولة بنفس الأخطاء القاتلة التي وقع فيها خلفاء بني العباس من إشراك الغلمان الأتراك في الحكم وقيادة الجيوش.

٣- ويبدو لنا من دراسة المعاهدة التي عقدت بين البيزنطيين والحمدانيين، إنها الأسو من نوعها في تاريخ العلاقات بين المسلمين والبيزنطي، إذ تدلنا بكل وضوح إلى إنها حوّلت شمال الشام إلى محميَّة بيزنطية لا غير، كما تدلنا على حرص البيزنطيين من القضاء على الحكم الحمداني.

٤- ولم يكن لنقفور فوقاس هدفٌ أسمى من الاستيلاء على بيت المقدس، والأماكن المقدسة في فلسطين. لذا نلاحظ ان بعض المؤرخين المعاصرين يرى ان هذه المرحلة من مراحل الإمبراطورية البيزنطية ما هي إلاّ أولى مُقدمات العدوان الصليبي على بلاد المسلمين.

٥- كانت وفاة سيف الدولة سنة ٣٥٦هـ/٩٦٦م إيذاناً بانحسار الجهاد ضد البيزنطيين، فضلاً عن ما أصاب الإمارة الحمدانية من بعده من هزالٍ، نتيجة لضعف خلفائه من الأمراء، مما مكّن الغلمان الحمدانية من السيطرة عليها. اذ تولى ابنه (أبو المعالي شريف) الإمارة من بعده، وكان ضعيفا وصغيرا، فتحكم غلمان أبيه به، فكان ذلك فرصة ذهبية للبيزنطيين للعبث ببلاد الشام، وإحداث مجازر رهيبة فيها.

٦- ان اغتيال الإمبراطور نقفور سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م بمؤامرة دبرتها زوجته ثيوفانوا مع قريبهِ حنا زمسكيس(الذي يعرف عند المسلمين بيانيس بن الشمشقيق)، أدت إلى تتويج الأخير إمبراطواراً لبيزنطة، مما يفتح الباب الى اندلاع صراع جديد بين الفاطميين والبيزنطيين.

هوامش البحث

(١) العواصم جمع عاصم وهو المانع، وهي حصون موانع وولاية تحيط بها بين مدينتي حلب وأنطاكية، وقصبتها أنطاكية. ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٦٥.

(٢) البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر(ت٢٧٢هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد، (القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٥٦)، ج١، ص١٥٦؛ الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٤٤.

(٣) بضم أوله، بليدة من نواحي حلب بالعواصم. ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٤٦١.

(٤) بالضم ثم السكون وراء مضمومة، مدينة وكورة من نواحي حلب. ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٤١٢.

(٥) بالفتح ثم الكسر مع التشديد، وهي مدين على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم وتقابل طرسوس. ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١٤٤.

(٦) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٦٥، ص ٤٠٤.

(٧) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٧٩.

(٨) من الثغور قرب المصيصة . ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٣٦.

(٩) من الثغور . ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص٥٢.

(١٠) بفتح اوله وثانيه وسكون الطاء وتخفيف الياء، بلدة من بلاد الروم تتاخم الشام، وهي للمسلمين. ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١٩٢.

(١١) قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش، من الثغور ويقال لها الحمراء لان تربتها جميعا حمراء، وقلعتها على جبل. ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٢٧.

(١٢) بالفتح ثم السكون، مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم، لها سوران وخندق وفي وسطها حصن عليه سور يُعرف بالمرواني. ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١٠٧.

(١٣) الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد(ت ق٤هـ، ١٠م)، مسالك الممالك، (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٢٧)، ص٦٢؛ سترانج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، (بغداد: مطبعة الرابطة، ١٩٥٤)، ص ص١٦٠-١٦١.

(١٤) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص١٦٥.

(١٥) للمزيد من التفاصيل عن الموضوع ينظر: السامر، الدولة الحمدانية، ص ص٩٩-١١٠.

(١٦) ينظر: رينسيمان، ستيفن، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، (القاهرة: الهيئة المصريةللكتاب، ١٩٩٧)، ص١٦.

(١٧) وهي شعوب بربرية يعود اصلها من البلدان المحيطة بالبحر البلطي، وكانت تعيش على الغارات والصيد. ربيع، حسنين محمد، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، (القاهرة: دار النهضة، ١٩٨٣)، ص ص١٤-١٥.

(١٨) ينظر: رستم، أسد، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، (بيروت: دار المكشوف، ١٩٥٥)، ص١٤٠ فما بعدها؛ السامر، مرجع سابق.

(١٩) ابن العديم، عمر بن احمد بن ابي جرادة(ت٦٦٠هـ)، زبدة الحلب، تحقيق سهيل زكار(دمشق: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧) ج١، ص١١٢.

(٢٠) الثعالبي، ابو منصور عبد الملك النيسابوري(ت٤٢٩هـ)، يتيمة الدهر، تحقيق مفيد قميحة(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣)، ج١، ص٤٠.

(٢١) ابن ظافر، ابو الحسن علي بن منصور(ت٦١٣هـ)، أخبار الدول المنقطعة، تحقيق عصام مصطفى هزايمة وآخرين، (أربد: دار الكندي، ١٩٩٩)، ج١، ص٥٧.

(٢٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص١٧٠.

(٢٣) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ج١، ص٥٧.

(٢٤) السامر، الدولة الحمدانية، ص ١٣١.

(٢٥) م. ن. ص٥٣.

(٢٦) ربيع، حسنين محمد، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، (القاهرة: دار النهضة، ١٩٨٣)، ص ص ١٥٦-١٥٧؛ الناصري، سيد أحمد، الروم تاريخهم وحضارتهم وعلاقاتهم بالمشرق العربي، (القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٩٣)، ص١٦٩.

(٢٧) السامر، مرجع سابق، ص ١١٥.

(٢٨) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ج١، ص ص ٧٦-٧٧.

(٢٩) الباز العريني، الدولة البيزنطية، ص٤٥٩.

(٣٠) م. ن. ص٤٦٤ فما بعدها.

(٣١) ينظر بهذا الصدد: توفيق، عمر كمال، مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي، ط٢(القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٧).

(٣٢) عن مجازره في بلاد الشام ينظر: مسكويه، ابو علي احمد بن محمد(ت٣٥٢هـ)، تجارب الأمم، تحقيق ابو القاسم إمامي، (طهران: دار سروش، ٢٠٠١)، ج٢، ص ص١٩٢-١٩٣.

(٣٣) ابن الاثير، ابو الحسن محمد بن محمد الشيباني(ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، ط٣، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٠)، ج٧، ص٣٤.

(٣٤) الأنطاكي، تاريخ، ص١٢٤.

(٣٥) كان قرعوية غلام سيف الدولة وهو الذي أخذ البيعة لابنه أبي المعالي بعد موته فلماكان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة انتقض على أبي المعالي وأخرجه من حلب واستبد بملكها. ينظر ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٣٤.

(٣٦) الهمذاني محمد بن عبد الملك(ت٥٢١هـ)، تكملة تاريخ الطبري، (بيروت، المطبعة الكاثوليكية، بلا)، ص٤١٧.

(٣٧) يبالغ بعض المؤرخين في عدد القتلى من سكان هذه المدينة، فيذكر ابن العديم ان عددهم كان مائة ألف: زبدة الحلب، ج١، ص١٥٩؛ في حين يذكر ابن الاثير عددا معقولا هو عشرين ألفاً: الكامل، ج٧، ص٣٤.

(٣٨) للمزيد من التفصيلات عن هذه الحادثة فضلا عن المصادر السابقة: النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب(ت٧٣٣هـ)، نهاية الارب، تحقيق مفيد قميحة، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤)، ج٢٣، ص١١٢-١١٣.

(٣٩) المصدر نفسه.

(٤٠) جب، هاملتون، صلاح الدين الايوبي، ترجمة يوسف أبيش، ط٢(بيروت: دار بيسان، ١٩٩٦)، ص٢٢.

(٤١) Pierre Phocase ويسميه الأنطاكي بطرس الاسطراطوبدرخ وهو ابن أخ للإمبراطور البيزنطي نقفور. تاريخ الأنطاكي، ص١٢٨، جب، هاملتون، دراسات في حضارة الاسلام، ط٣، ترجمة احسان عباس وآخرين، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩)، ص٥٦.

(٤٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٩٥؛ ابن ظافر، اخبار الدول المنقطعة، ج١، ص٩٢.

(٤٣) ينظر نص هذه المعاهدة كما أوردها ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ص١٥٢-١٥٧ ؛ وانظر كذلك: الباز العريني، الدولة البيزنطية، ص٤٨٤، السامر، الدولة الحمدانية، ج٢، ص١٩٧.

(٤٤) ينظر تفاصيل ذلك: الشيخ، محمد محمد مرسي، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٢٤٧؛ الباز العريني، الإمبراطورية البيزنطية، ص ص٥١٢-٥١٦.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

ابن الأثير، أبو الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

الكامل في التاريخ، ط٣(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٠).

الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد(ت ق٤هـ، ١٠م)

مسالك الممالك، (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٢٧)

الأنطاكي، يحيى بن سعيد(ت٤٥٨هـ/١٠٦٧م)

صلة تاريخ أوتيخا المعروف بتاريخ الإنطاكي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، (طرابلس: مطبعة جروس برس، ١٩٩٠).

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر(ت٢٧٩هـ/٨٩٢ م)

فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد، (القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٥٦)

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك النيسابوري(ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قميحة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣)

ابن ظافر، أبو الحسن علي بن منصور الأردي(ت٦١٣هـ/١٢١٦م)

أخبار الدول المنقطعة، تحقيق عصام مصطفى هزايمة وآخرين، (أربد: دار الكندي، ١٩٩٩).

ابن العديم، عمر بن أحمد بن أبي جرادة، (ت٦٦٠هـ/١٢٦١هـ)

زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج١: تحقيق سهيل زكار(دمشق: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧)، ج٢: تحقيق سامي الدهان، (دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، بلا).

مسكويه، أبو علي احمد بن محمد(ت٣٥٢هـ/٩٦٣م)

تجارب الأمم، تحقيق ابو القاسم إمامي(طهران: دار سروش، ٢٠٠١).

النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب(ت٧٣٣هـ/١٣٣٣)

نهاية الأرب في فنون الأدب ، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤)

الهمداني، محمد بن عبد الملك بن إبراهيم(ت٥٢١هـ/١١٢٧م)

١-تكملة تاريخ الطبري، تحقيق ألبرت يوسف كنعان، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية ،١٩٥٨) وكذلك طبعة مصر: تحقيق ابو الفضل ابراهيم ط٢(القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢).

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي(ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)،

معجم البلدان، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٩٧٩)

ثانياً: المراجع

توفيق، عمر كمال

مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي، ط٢(القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٧)

ربيع، حسنين محمد

دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، (القاهرة: دار النهضة، ١٩٨٣).

رستم، أسد

الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، (بيروت: دار المكشوف، ١٩٥٥).

رينسيمان، ستيفن

الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٧).

السامر، فيصل

الدولة الحمدانية في الموصل وحلب،(بغداد: مطبعة الجامعة، ١٩٧٣).

الشيخ، محمد محمد مرسي

تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، (الإسكندرية: دار المعرفة الجديدة، ١٩٩٤).

العريني/ السيد الباز

الدولة البيزنطية(٣٢٣-١٠٨١) ، (بيروت:دار النهضة العربية، بلا).